

تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي.

الأستاذة: سامية شودار

قسم الآداب واللغة العربية

جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

ملخص:

Abstract:

This article seeks to examine the pragmatics theory, fall within the pragmatics third degree; a verbal acts theory, and this theory was founded by the English "Austin" philosopher, and developed by his disciple "Searle", Where he presented the latter amendment to the division of his teacher, and through it we will try to study poetic discoursr in favor of Atlas el Moajizatte from "saleh khalfi" depending on the division, " Searle" acts of words, and of Assertive and Promissivs, and Directives and Expressives and Declarativs.

يسعى هذا المقال إلى دراسة نظرية تداولية، تندرج ضمن تداولية الدرجة الثالثة؛ وهي نظرية الأفعال الكلامية، وقد تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف الإنجليزي "أوستين"، ثم قام بتطويرها تلميذه "سيرل"، الذي اقترح تعديلا لتقسيم "أوستين"، ومن خلالها سنحاول دراسة الخطاب الشعري في "أطلس المعجزات لصالح خرفي"، معتمدين في ذلك تقسيم "سيرل" للأفعال الكلامية؛ والمتمثل في: التقريرات، والوعديات، والتوجيهيات، والتعبيريات، والإعلانات.

تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين النظريات التداولية التي استأثرت باهتمام الباحثين في مجال الدرس التداولي، وقد تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" (J.L. Austin)، الذي « يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية».⁽¹⁾

وانطلق "أوستين" في تأسيس هذه النظرية من انتقاده للرأي القائل إن اللغة تهدف بالخصوص إلى وصف الواقع، وأن وصف شيء معين، لا يمكن له أن يخرج عن إطار الخطأ والصواب، ولهذا « كانت آراؤه التي حاضر فيها ترمي إلى تفكيك أو اصر تلك النظرية، وتفنيد مزاعمها التي تحصر مهمة اللغة الوحيدة في إنتاج تركيب خبرية صادقة أو كاذبة»⁽²⁾، وصرح أن هناك بعضا من الجمل لا يمكننا الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولا تصف الحالة الراهنة أو السابقة، وإنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها كجمل الاستفهام، والتعجب، والأمر.

انطلاقا من ذلك ميز "أوستين" بين نوعين من المنطوقات « هي المنطوقات التقريرية الوصفية، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية، غير أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع [...] ويسمي "أوستين" هذا النوع بالمنطوقات الأدائية».⁽³⁾

وإذا كانت المنطوقات الأولى- التقريرية- تخضع لمعيار الصدق والكذب، فإن النوع الثاني من المنطوقات- الأدائية- لا تخضع لهذا المعيار؛ لأن هذا النوع من المنطوقات « يتيح للمتكلم أو الكاتب إنجاز عمل أكثر من التلفظ بقول فقط».⁽⁴⁾

أولا: مفهوم الفعل الكلامي:

وغواه أن كل ملفوظ ينضام على نضام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازية، وغايات تأثيرية، تخص ردود فعل المتلقي⁽⁵⁾، وقد ميز "أوستين" بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية:⁽⁶⁾

أ- الفعل القولي: الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشي ما.

ب- الفعل الإنجازي: وهو الذي يتحقق بقولنا شيئاً ما؛ أي ما يؤديه الفعل القولي من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والتحذير، والأمر، والنصح.

ج- الفعل التأثيري: وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي.

ثانياً: أصناف الفعل الكلامي:

لقد قام الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين" بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف، وتمثل في⁽⁷⁾:

1- أفعال الأحكام أو القرارات التشريعية (Verdictivs): وهي التي تعبر عن حكم؛ سواء أكان ذلك الحكم من هيئة قضائية، أم من مُحكّم تختاره الأطراف، أم من حَكَم، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية أو ظنية، نحو: يعترف، ويعين، ويصف، ويحلل، ويثبت، ويقدر، ويشخص.

2- أفعال الممارسات التشريعية (Exercitives): وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص، أو ضده⁽⁸⁾، نحو: يأمر، ويختار، ويحذر، ويعلن، ويطرد، ويسيطر، وينصح.

3- أفعال الإباحة (Commissives): وهي التي تعبر عن التزام المتكلم بتصريف أو نشاط معين، نحو: أعد، وأتعهد، وأقرر، وأقترح، وأتعاقد على، وأضمن، وأقسم على.

4- أفعال السلوك (Behabitives): وهي التي تعبر عن رد فعل سلوك الآخرين، ومواقفهم، ومصائرهم كالاعتذار، والشكر، والتعاطف، والمواساة، والتحية، والرجاء.

5- أفعال المعروضات الموصوفة (Expositives): وهي التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر، أو بيان الرأي وذكر الحجة كالأثبات، والإنكار، والمطابقة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، والموافقة، والتصويب.⁽⁹⁾

غير أن تلميذه "سيرل" انتقد هذا التقسيم؛ لأنه لم يراع مجموعة من المعايير أهمها: غاية الفعل، ووجهة الإنجاز، وأسلوب إنجاز الفعل الإنجازي وغيرها⁽¹⁰⁾، لذا اقترح تعديلاً لتقسيم "أوستين"، يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة،

وشرط الإخلاص⁽¹¹⁾، وجعلها خمسة أصناف: التقريريات، والوعديات، والتوجيهيات، والتعبيريات، والإعلانيات، وعلى هذا الأساس ظهرت على يديه نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة، قائمة على أسس منهجية واضحة.

وفيما يلي نحاول دراسة "الخطاب الشعري في ديوان أطلس المعجزات" وفق هذه التصنيفات.

1- التقريريات (Assertives): والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تختمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم Words- to- world، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وإذا تحققت الأمانة في النقل، فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تاما، وإلا أصبحت أخبارا لا معنى لها.⁽¹²⁾

وهذا الصنف من الأفعال موجود بكثرة في الديوان؛ لأنه سجل أحداث تاريخية، وتلبية فورية للمناسبة العابرة، ولهذا يعترف الشاعر بأنه لم يكن في وسعه أن يمر بالحادثة التاريخية البطولية مر الكرام، وأنه لم يكن في وسع الثورة المتجددة مع الدقائق والثواني أن توفر له الهدأة التي يحتاجها كل عمل فني؛ لأن الثورة في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نغمة حاملة تتغنى بها، وهو لهذه الرؤية لا يستنكف من أن يتحول من شاعر إلى خطيب⁽¹³⁾، ولهذا لا يجد تبريرا فنيا للتعبير التقريري المباشر، بينما يرى بأن الأسلوب الخطابي يرره المضمون الحماسي، بل يتطلبه ويفرضه.⁽¹⁴⁾

ونجد أن الخطاب الشعري (مأساة حي القصة) من بين الخطابات الشعرية في الديوان التي تضمنت أفعالا كلامية تقريرية، إذ يقول الشاعر⁽¹⁵⁾:

عَلَى الْأَخْرَارِ أَعْلَنَهَا جِدَادًا

وَأَرْسَلَ دَمْعِكَ الْعَالِي مَدَادًا

فَحَيُّ (الْقَصْبَةِ) التَّهْمَتُهُ نَارٌ

فَبَاتَ الْمَرْءُ وَالْمَأْوَى رَمَادًا

إن القضية المحورية التي عبر عنها الشاعر في هذا الخطاب، تتمثل في الإعلان عن المشهد المأساوي الذي آل إليه حي القصة، ولهذا جاءت جل الأفعال الكلامية المشككة للبنية اللغوية في الخطاب، تدل على التحول والانتقال من حال إلى آخر.

و الزمن الغالب في هذه الأفعال هو الماضي الذي يفيد تقرير الحقائق؛ لأن الشاعر نقل لنا واقعة من وقائع الثورة؛ وهي مأساة ومعاناة حي القصة، الذي كان « من أهم الأحياء الشعبية في مدينة الجزائر وأقدمها، والقلعة القوية للنشاط الفدائي، وهدفا لغارات الفرنسيين طوال الثورة».⁽¹⁶⁾

ولهذا استهل الشاعر خطابه بطرح القضية المحورية؛ والمتمثلة في النار التي التهمت حي القصة، وتحول سكانه وسكناتهم إلى رماد، حيث يقول:⁽¹⁷⁾

وَدَارٌ كَمْ تُمَلَّى سَاكِنُوهَا
وَأَسْلَمَ حَظُّهُمْ لَهُمُ الْقِيَادَا
فَصَبَّرَهَا الْعَدُوُّ لَهُمُ قُبُورَا
فَكَانَتْ دَارُهُمْ دُنْيَا مَعَادَا
وَكَمْ مِنْ أُسْرَةٍ فِي (الْحَيِّ) بَاتَتْ
تَسَامَتْ أُلْفَةً وَصَفَتْ وَدَادَا
تَيَمَّمَهَا الْعَدُوُّ بِجَنَاحِ لَيْلٍ
فَعَادَرَهَا لِبَطْنِ الْأَرْضِ زَادَا
قُرْبٌ مُوسَّدٌ حَزًّا تَدَاعَى
بِهِ مَاوَاهُ فَافْتَرَشَ الْوَهَادَا
وَكَانَ (الْحَيِّ) حَيًّا ثُمَّ أَمْسَى
كَأَنَّ لَمْ يَأُو فِي الدُّنْيَا عِبَادَا
وَلَمْ تُرَجِّبْ مَعَانِيهِ لِحَيِّ
وَلَا طَابَتْ مَرَاتِعُهُ اِزْتِيَادَا

فبعد أن صرح الشاعر في بداية الخطاب بالفعل الكلامي النواة، راح يفصل ذلك

بوصف ما حل بالحي من خراب ودمار، وكيف أن النار قد أتت على كل شيء، وهو بذلك أنجز أفعالا كلامية تقريرية، تتظافر جميعا لتعيدنا إلى الفعل الكلامي المنجز في المقدمة، والممثل في التغيير الذي أصاب سكان الحي؛ فبعد أن كانت الديار عامرة بساكنيها، حولها العدو الغاصب لهم قبورا، وبعد أن كان الموسد يتوسد حريرا، انهار به مأواه، فافترش الأرض، وبعد أن كان الحي حيا بسكانه، أصبح كأن لم يأو من قبل عبادا.

ومما لاشك فيه أن هذه الأفعال الكلامية جميعا أدت إلى إحداث فعل تأثيري، مضمونه أن كل ذلك التعذيب والتنكيل والعنف، لم يطفى نار الثورة، بل زادها لهيبا؛ لأن فرنسا قامت بكل الطرق والأساليب القمعية في الجزائر، من أجل إخماد نار الثورة الملتبئة، وقتل روح المقاومة، إذ يقول الشاعر:⁽¹⁸⁾

فَيْتَلِّكُ (الْقَصْبَةُ) الْمِصْلَاةُ نَارًا

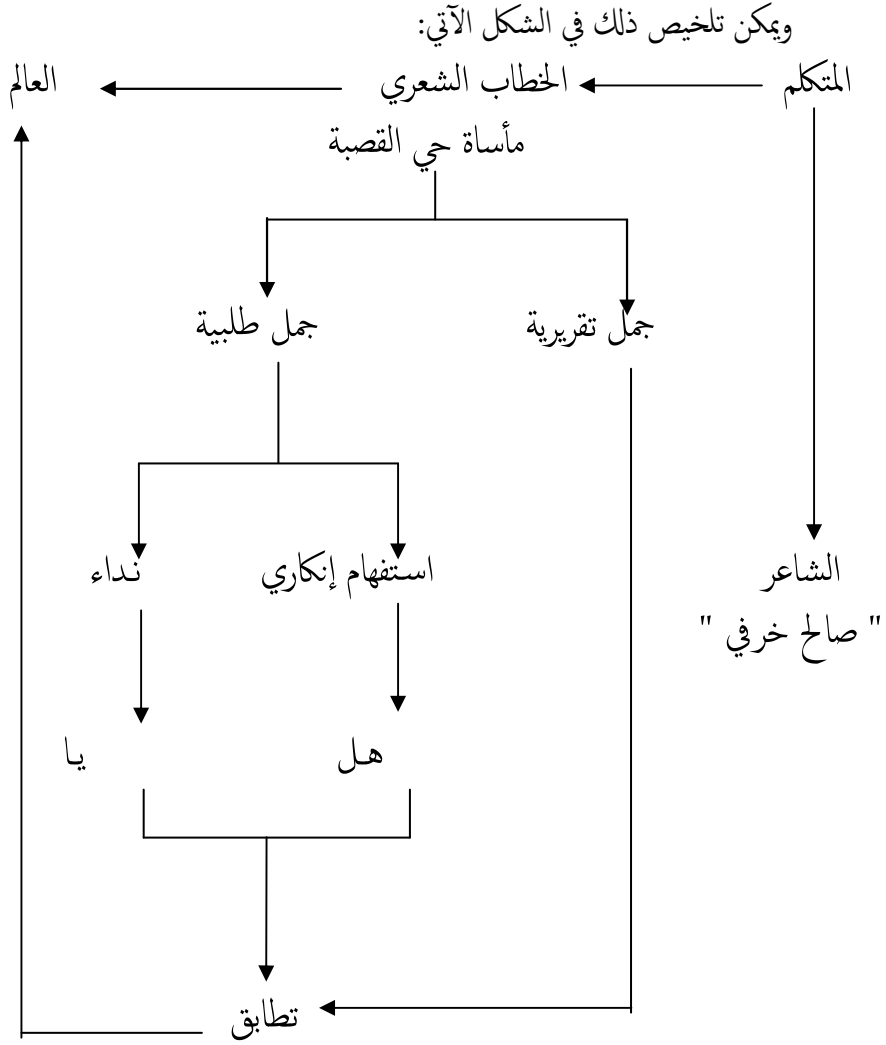
فَرَادَتْ نَارَ ثَوْرَتِنَا اتِّقَادًا

فَهَلْ جَبْرُوتُهَا أَطْفَأَ لَهِيْبًا ؟

وَهَلْ بَلَّغُوا بِقَسْوَتِهِمْ مُرَادًا ؟

وبما أن هذا الخطاب الشعري يندرج ضمن التقريريات، فاتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم، ولهذا كانت الجملة التقريرية هي الأوفر حضورا نحو: " أعلنها حدادا " ، و" أرسل دمعك "، و" التهمتته نار "، و" بات المرء "، أما الجملة الطلبية فلم تتجاوز ثلاث جمل، وهي: " فهل جبروتها أطفأ لهيبا ؟ "، و" هل بلغوا بقسوتهم مرادا ؟ "، و" يا فرنسا ".

نتوصل إلى أن الغرض التداولي من هذا الخطاب الشعري؛ هو رغبة الشاعر في تصوير بشاعة الجرائم، التي اقترفتها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري وممتلكاته؛ لأن الشاعر " صالح خرفي " من بين الذين عاشوا أهوال الثورة التحريرية، وشاهدوا ما كان يفعله الاستعمار الفرنسي، ويقترفه ضد المدنيين الأبرياء، من الشيوخ والأطفال والنساء، ولهذا وظف الأداة " كم " الخبرية التي تدل هنا على مدى كثرة الأسر التي أبيدت عن آخرها، فأصبحت في لحظة من الزمن في عداد العدم.



العناصر التداولية في الخطاب الشعري "مأساة حي القصة".

2- الوعديات (Promissivs) : وغرضها الإنجازي هو الوعد؛ أي التزام المتكلم

بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات - To - World Words، وشرط الإخلاص هو القصد Intention، ويدخل فيها أفعال الوعد والوصية⁽¹⁹⁾. كقول الشاعر في الخطاب الشعري (نوفمبر)⁽²⁰⁾:

قَسَمًا سَتَجْمَعُنَا (لِيَاقَا) عَوْدَةُ الْعَا

لَارِي، إِذَا انْبَلَجَ الصَّبَاحُ وَأَسْفَرَا

عَيْنَاكَ (يَا يَاقَا) سَنَجْعَلُ عَهْدَ (إِسْرَا

ئِيلَ) بَيْنَ جُفُونِنَا طَيْفًا سَرَى

نلاحظ أن الشاعر يلتزم بالقيام بفعلين:

1- العودة للغزو وإن تحررت الجزائر، وذلك لتحرير فلسطين، وتطهير الأرض المقدسة من مخالب الصهيونية.

2- جعل إسرائيل بين جفونها كالحلم الذي يزول بزوال النوم.

والغرض الإنجازي من ذلك هو إثبات أن تحرر الجزائر مقترن بتحرير فلسطين، فإذا تحررت الجزائر فإن تحررها لم يكتمل ما لم تتحرر فلسطين، وهو موقف المجاهدين الجزائريين الذين أعلنوا غداة إيقاف القتال، بأن جهادهم لا يعد منتهيا، ما دامت فلسطين في قبضة الصهاينة⁽²¹⁾؛ لأنهم يرون أنه لا فرق بين الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والاستعمار الصهيوني في فلسطين، ولهذا لا بد من تلبية نداء الواجب والجهاد، والإقدام بحزم وثبات لإتقاذ فلسطين الجريحة.

ولهذا جاءت الأفعال فيها حركية قوية: " ستجمعنا، وإذا انبلج، وأسفرا، وسنجعل، وسرى"، ونجد اتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات، والمحتوى القضوي فيها هو أن يفعل المتكلم شيئا في المستقبل، ولهذا بدأ كلامه بالقسم، وقد عده النحاة أسلوبا

من أساليب التوكيد⁽²²⁾، إذ يقول سيويوه: «الحلف توكيد»⁽²³⁾، ويقول أيضا: «اعلم أن القسم توكيد لكلامك»⁽²⁴⁾.

ويستمر الشاعر في توكيد أفعاله من خلال القسم إذ يقول⁽²⁵⁾:

أَفْسَمْتُ بِالرَّمْضَاءِ فِيهَا، بِالرِّيَا
حِ الْهَوَجِ، تَنْتَعِلُ الْجَدِيبَ الْمُقْفِرَا
بِالْتَّاقَةِ الْوَجْنَاءِ فِيهَا لَمْ تَزَلْ
عَرِيَّةَ الْخُطُوبَاتِ، شَامِحَةَ الدَّرَا
أَفْسَمْتُ بِالْحَادِي، وَبِالْفُضْحَى الَّتِي
نَاجَى بِهَا اللَّيْلَ الْجَمِيلَ الْمُفْمِرَا
بِالْحَيْمَةِ السُّودَاءِ، بِاللَّيْلِ الْأَيْبِسِ
بِنَارِهَا، مَا انْفَكَّ (طَائِي) الْقَرَى
بِالْتَّفُطِ فِي الصَّحْرَا، عَشِثْتُ سَوَادَهُ
الْدَاجِي، وَعَقَّتْ بِهِ النُّصَارَ الْأَضْفَرَا
بِالدَّرَةِ الرَّغْنَاءِ، أَفْعَدَ رَاجِلًا
إِشْعَاعُهَا الْمُودِي، وَأَعْمَى مُبْصِرَا
أَفْسَمْتُ بِالصَّحْرَاءِ مَهْدًا لِأَنْبِثَا
قِ الْوَحْيِ نَقَاهَا (جَزَاء) وَطَهَّرَا
سَنْعِيدُ ذِكْرِي (القَادِسِيَّة) لِلنَّهْيِ
تَهْوِي (بِكِسْرِي) أَوْ تُطْبِخُ (بِقَيْصِرَا)

سَنَشْتُهَا (عُمْرِيَّةً) (سَعْدِيَّةً)

سَنَسْتِثِيرُ رَمَلَتَهَا قَتَامًا أَعْبَرَا

ذِكْرِي سَنَجْعَلُهَا، وَتَبَقَى عِبْرَةً

فِي الْخَافِقِينَ لِمَنْ وَعَى وَتَذَكَّرَا

نلاحظ أن عدد الأفعال الواردة في هذا المقطع الشعري قد بلغ اثنين وعشرين فعلا؛ موزعة بين الزمنيين الماضي والمضارع، وهذه الأفعال تتضمن الوعد؛ لأن الشاعر يلتزم بالقيام بأفعال في المستقبل، ولهذا كرر الفعل (أقسمت) ثلاث مرات، فهو يقسم بالرمضاء المحرقة، وبالرياح الهوجاء، وبالناقة الوجناء، وبالحدادي الذي يناجي القمر بلغة فصيحة، و بالخميمة السوداء، وبالليل الأنيس، وبالنار المتقدة ليراها الأضياف من بعيد وغيرها من الصور المستمدة من البيئة الصحراوية، وهي تتداخل وتنسجم مع الفكرة التي يريد الشاعر تجسيدها وتأكيدا؛ وهي أصالة الصحراء الجزائرية، واتماؤها العريق إلى عروبتها وإسلامها، وتمسكها بهما محما تكن المؤامرات الاستعمارية⁽²⁶⁾، ولهذا يقول الشاعر⁽²⁷⁾:

الْبَيْدُ سَفْحٌ لِلْأَشْتَمِ، كِلَاهُمَا

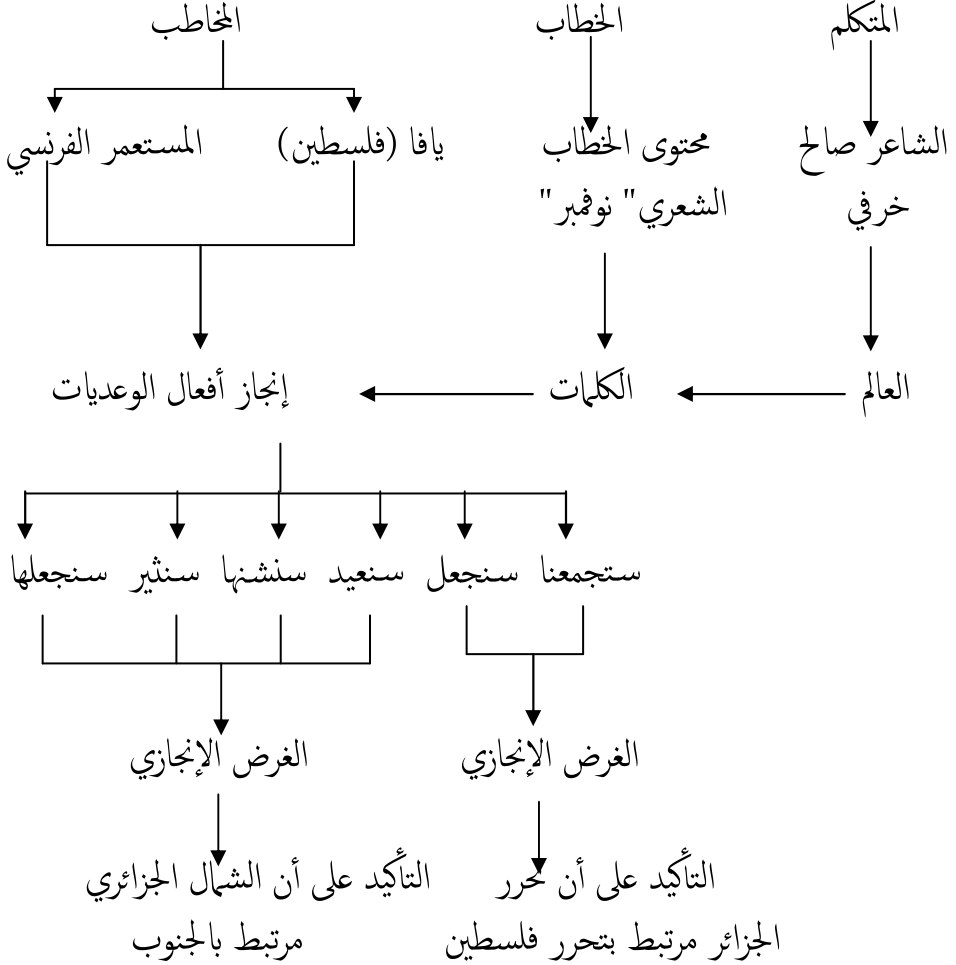
لِلثَّارِ مَشْدُودَ الْأَوَاصِرِ وَالْغُرَى

يَا مَنْ عَلَى الصَّخْرَاءِ سَالَ لُعَابُهُمْ،

كَمْ مَوْرِدٍ فِيهَا، سَلُوا هَلْ أَصْدَرَا؟

فالشاعر يلفت الانتباه إلى أهمية الصحراء الواجب تحريرها من المستعمرين؛ وأهميتها لا تكمن في مناظرها الجميلة فحسب، بل في خيراتها الوفيرة، وثرواتها الثمينة كالبترول، والغاز، والذهب وغيرها من الثروات، ولهذا وظف الشاعر الأداة "كم" الخبرية التي تدل على الكثرة في قوله: «كم مورد فيها، سلوا هل أصدرا؟».

والغرض الإنجازي من ذلك هو التأكيد على أصالة الصحراء الجزائرية وارتباط
شمالها بجنوبها، ردا على المتأمرين على فصل الصحراء عن الشمال⁽²⁸⁾
ويمكننا بعد تحديد أفعال الوعديات في الخطاب الشعري « نوفمبر » تعيين الخطاطة
الآتية:



أفعال الوعديات في الخطاب الشعري " نوفمبر "

3- التوجيهات (الطلبات) (Directives): وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم

توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات World- to- Words، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف صيغ الاستفهام، والأمر، والنهي، والدعوة، والتشجيع، والنصح، والاستعطاف.⁽²⁹⁾ و قد تضمن الخطاب الشعري « الخفافيش » العديد من الأفعال التي تندرج ضمن التوجيهات، ومن بينها:

أ- الاستفهام: وهو أكثر أساليب الطلب انتقالا إلى دلالات تحويلية مغايرة لدلالته التي وضع لها⁽³⁰⁾؛ والمتمثلة في « طلب الفهم [...] ولكونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن، لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام».⁽³¹⁾

وقد وصل السيوطي بدلالات الاستفهام التحويلية إلى اثنين وثلاثين دلالة، جامعا بذلك ما ذكره العلماء قبله⁽³²⁾، فما هي دلالات الاستفهام في الخطاب الشعري «الخفافيش»؟ أمهي طلب الفهم؟ أم هي دلالات أخرى يكشف عنها السياق وقرائن الأحوال؟

يقول الشاعر⁽³³⁾:

بَسْمَةُ النَّصْرِ تَلْكَ فِي يَوْمِ عِيدِ
أُمُّ هِيَ الدَّمْعَةُ احْتَفَتْ بِالشَّهِيدِ؟

خَلِيًّا دَمْعَةَ الشَّهِيدِ تَزْوِي
 مُقْلَتِي. خَلِيَّاهُ، يُذَكِّي صُمُودِي
 لَا تَقُولَا أَيْنَ ابْتِسَامِ الْأَمَانِي
 بَسْمَةُ الْبَشْرِ، صَاقَ عَنَهَا وُجُودِي
 أَيُّ نَارٍ عَلَى الْخُدُودِ تَوَارَتْ؟
 فَاسْتَطَارَتْ فِيهَا وَرَاءَ الْخُدُودِ
 أَيُّ سِلْمٍ؟ وَلِلرَّصَاصِ صَحَائِي
 تَتَرَامَى عَلَى الرَّصِيفِ الْمَدِيدِ
 أَيُّ عِيدٍ يَوْفِقُ إِطْلَاقِ نَارٍ؟
 وَلَهُمْ فِي دِمَائِنَا أَلْفُ عِيدٍ

نجد أن الشاعر قد صاغ المقطع الأول من هذا الخطاب الشعري في شكل سلسلة من التساؤلات، حيث أنتج أول تساؤل فعلا كلاميا إنجازيا إخباريا، مفاده أن دمة الشهيد هي التي تروي مقلته، وتذكي صموده، لا بسمه النصر، وأي بسمه نصر- ودم لم يزل يتنزى، وأرواح لم تزل تنتفض في أرصفة الشوارع، وذلك على يد المنظمة السرية للجيش الفرنسي، التي استغلت وفاء الشعب لوقف إطلاق النار، « فانطلقت في ساحات المدن وشوارعها، تطلق الرصاص على الراح الغادي، وتشفي الغليل بالضربات العشوائية، بعد أن خانتها الضربات الهادفة. وقد امتدت " اليد الحمراء " لهذه المنظمة إلى كل بيت فملائته رعبا، ویتما، وثكلا، وتمكنت في جناح الظلام، وتحت حماية السلطة الفرنسية أن تطرق كل باب، وتشكل الجزائر في أعز أبنائها وقادتها».⁽³⁴⁾

ومدى بشاعة هذه الجرائم، وفضاعة القمع، ووحشية الإبادة، ومبالغة المعمرين في زرع صور الموت والدمار والفناء هنا وهناك، دون شفقة أو رحمة، هي التي جعلت الشاعر يتساءل مرة أخرى:

أَيُّ نَارٍ عَلَى الْحُدُودِ تَوَارَتْ؟

فَأَسْتَطَارَتْ فِيمَا وَرَاءَ الْحُدُودِ

ولكن هذه المسألة أنتجت فعلا كلاميا إنجازيا إخباريا، أخذ شكل الاستفهام، وتضمن قوة إنجازية إخبارية مفادها أن النار لم تتوقف، ما لم تنزل تتطير وراء الحدود، وتختلف ضحايا تترامى على أرصفة الشوارع، إذ يقول:

أَيُّ سِلْمٍ؟ وَلِلرَّصَاصِ ضَحَايَا

تَتَرَامَى عَلَى الرَّصِيفِ الْمَدِيدِ

أَيُّ عِيدٍ يُوَقَّفُ إِطْلَاقَ نَارٍ؟

وَلَهُمْ فِي دِمَائِنَا أَلْفَ عِيدِ.

فالشاعر أراد أن يخبرنا من خلال الاستفهام، أن السلم لم يتحقق بعد، مادام الرصاص يخلف أرواحا تترامى على الرصيف، وأنه لا يمكننا الاحتفال بعيد وقف إطلاق النار، ولهم في دمائنا ألف عيد.

نتوصل إلى أن هذه الأسئلة تحمل دلالة ظاهرة، وأخرى خفية مستلزمة:

* الدلالة الظاهرة (الاستفهامية) التي تحققت من الشكل.

* الدلالة المستلزمة (الإخبارية) التي تحققت من المضمون.

ب- الأمر: وهو الطلب من المخاطب حصول فعل ما على وجه الاستعلاء

والإلزام⁽³⁵⁾، ولهذا صنفه " سيرل " ضمن الطلبيات، واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات.

ونجد أفعال الأمر حاضرة في الخطاب الشعري « الخفافيش » في قول الشاعر⁽³⁶⁾:

خَلِيًّا دَمْعَةَ الشَّهِيدِ تَرْوِي
مُقَلَّتِي خَلِيًّاهُ يُذَكِّي صُمُودِي

نلاحظ أن الشاعر في هذا السياق يخاطب ذاته، ولكن بصيغة المثني « خليا، وخلياه»؛ لأن « من سنن العرب أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين؛ نحو: إفعلا ذلك، ويكون المخاطب واحد»⁽³⁷⁾.

فالأمر موجه لذات الشاعر، لحنها على القيام بفعل الترك؛ أي ترك دمعة الشهيد تروي مقلته، وتذكي صموده، وقد كرر فعل « خليا » ثلاث مرات، ليؤكد وجوب الترك، إذ يقول⁽³⁸⁾:

خَلِيًّا آهَةَ الْمُعَذَّبِ تَحْدُو
تَوْرَتِي، لِإِنْطِلَاقِهَا مِنْ جَدِيدِ

فالجملة الطلبية المتضمنة لفعل الأمر هي « خليا آهة المعذب»، حيث تحمل قوة إنجازية أمرية، مفادها إنجاز فعل الترك من قبل المخاطب؛ وهو الشاعر. وأما في قوله⁽³⁹⁾:

يَا فَرَسْنَا لَنَا وَقَاءً شَرِيفٌ
وَلَنَا وَثْبَةً الْقَدِيرِ الْعَنِيدِ

قَدْ خَبَرَتِ الطَّبَاعَ سَبْعًا شِدَادًا

فَأَخَذَرِي تَوْرَةً لَهَا مِنْ جَدِيدِ

بَادِلِينَا وَفَاءَنَا يَا فِرْنَسَا

أَلْحَبِي سُوْرَةَ الْجُمُوْحِ الْحُقُوْدِ

فالأمر موجه إلى فرنسا من خلال فعل الأمر « احذري»، حيث يحمل قوة إنجازية أمرية، مفادها التهديد والإنذار، فهو يندرها بعودة الثورة والغزو من جديد، إذا لم تمثل للوفاء المتفق بينهما.

ثم يحدد الشاعر بعد ذلك الفئة التي يقصدها؛ لأن أفعاله لا يوجهها إلى كل الشعب الفرنسي، وإنما إلى جماعة بعينها، إذ يقول⁽⁴⁰⁾:

قَادَةُ الشَّعْبِ إِنَّ لِشَّعْبِ عَهْدًا

فَلَيْكُنْ رَمْزُكُمْ وَفَاءَ الْعُهُودِ

أَلْجُمُوعَا فَوْهَةَ الْحَدِيدِ وَأَسْوَا

جُرْحِ شَعْبٍ مُنْعَصٍ مَنكُودِ

أَعْرِفُوا نِعْمَةَ السَّلَامِ لِشَّعْبِ

عَاشَ دُنْيَاهُ فِي جَجِيمِ الوَعِيدِ

أَسْمِعُوهُ زَعْرُودَةً، تَتَلَاشَى

فِي صَدَاهَا قَتَابِلَ التَّهْدِيدِ

ظَلِّلُوهُ بِرَايَةٍ، إِنَّ فِيهِ

نَفْسًا لَاهِتًا، بِجُهْدِ جَهِيدِ

فالملاحظ أن الشاعر يوجه أفعاله إلى قادة الشعب، وهم الجنرالات الأربعة (شال، وزيلر، وسالات، وجوهر)، الذين ساعدوا المعمرين في تأسيس المنظمة

العسكرية السرية، التي عرفت بأعمالها الإرهابية؛ من قتل وتدمير وحرق⁽⁴¹⁾، ولهذا كثرت الأفعال الكلامية الموجهة لقادة الشعب، وهي: فليكن، وألجموا، و آسوا، وأسمعوه، وظللوه.

وإن لم يلتزم المخاطب بهذه الأفعال، فإنه يهدده بعودة الثورة من جديد؛ إذ يقول⁽⁴²⁾:

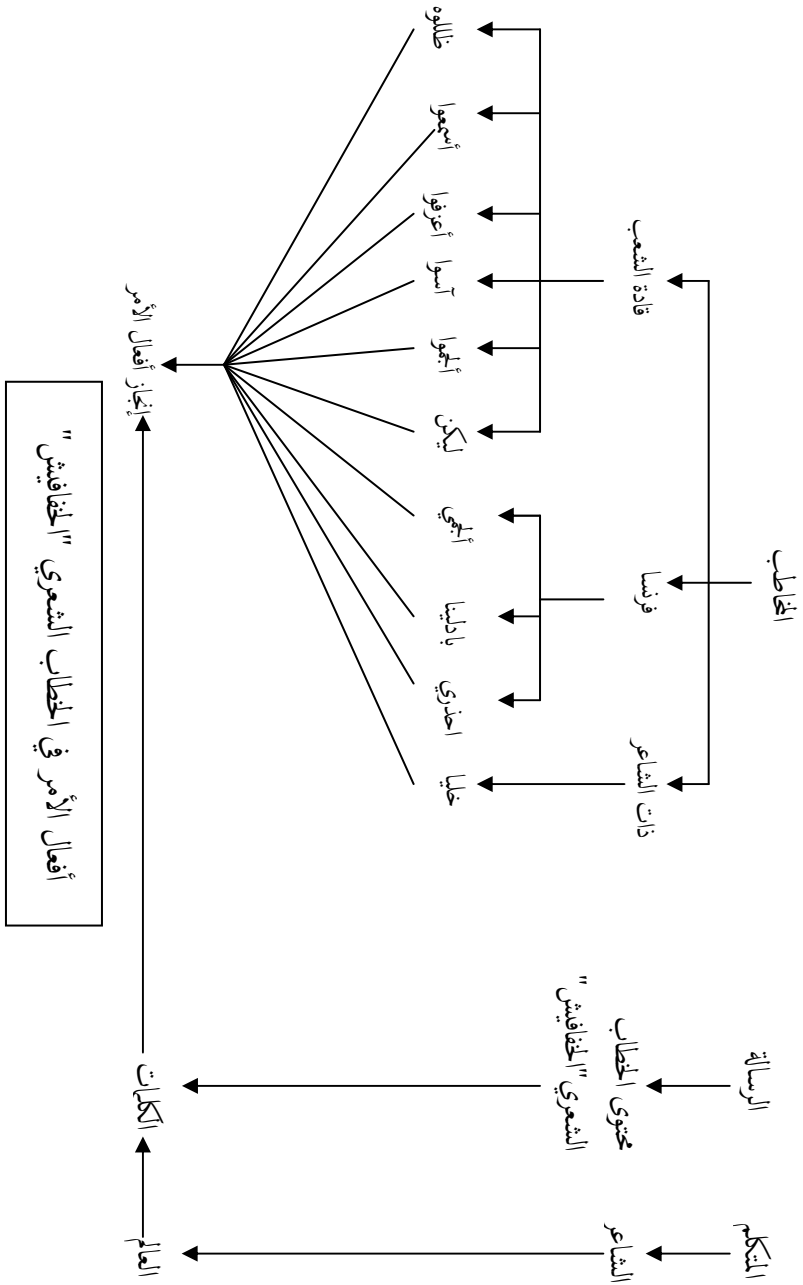
عِشْتِ يَا ثَوْرَةَ الْجَزَائِرِ نَارًا

وَمَنَارًا عَلَى صَعِيدِ الْوُجُودِ

عِشْتِ لِلسَّلَامِ، فَأَحْرَسِيهِ وَفَاءً

وَإِذَا حَانَكَ السَّلَامُ، فَعُودِي

ويمكننا إجمال أفعال الأمر في الخطاب الشعري « الخفافيش » في الشكل الآتي:



4- التعبيرات (Expressives): وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف

النفسي، تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم، ولا العالم مطابقا للكلمات، ويدخل فيها الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة.⁽⁴³⁾

ونجد أن الخطاب الشعري في "ديوان أطلس المعجزات"، يعبر عن حالات نفسية مر بها الشاعر إبان الثورة التحريرية؛ لأن واقع الجزائر آنذاك كان واقعا مأساويا، مما جعل الخطابات الشعرية في الديوان يغلب عنها طابع الأسى والتحسر؛ لأنها تعكس الحوادث التاريخية التي مرت بها الجزائر آنذاك، نحو: مأساة تبسة، ومأساة حي القصب، والجزائر في الإضراب العام، ويوم الجزائر، والأمم المتحدة. يقول الشاعر صالح خرفي: « أعتزف بأن أغلب المجموعة سجل تلبية للمناسبة العابرة، وتحت إلحاحها القاسي. وربما برر هذه التلبية الفورية عندي إيماني بأن الثورة المشتعلة في حاجة إلى صوت يحمس لها، أكثر من حاجتها إلى نغمة (حاملة) تنغني بها [...] ولم يكن في وسعنا أن نمر بالحادثة التاريخية البطولية من الكرام، سعيا وراء الفن الأمثل». ⁽⁴⁴⁾

ولهذا نجده في أغلب المواقف يواسي الشعب الجزائري، إذ يقول في الخطاب الشعري « مأساة تبسة » ⁽⁴⁵⁾:

صَبْرًا (تَبْسَةً) إِنْ شَقِيَتْ بِنَارِ
أَوْعَادِ يَكْأَسِ الْإِنْتِقَامِ سَكَارَى
سَيُزِيحُ عَنْهُمْ ظُلْمَةَ الْإِسْكَارِ فَجَزْرُ
لِلْجَزَائِرِ يُبْهِرُ الْأَنْظَارَا
لَا تَحْزَنِي لِلْوَكْرَانِ عَصَفَتْ جَبَا

بِرَّةٌ بِهِ، وَالسِّرْبُ رَيْعٌ فَطَارَا
فَعَدَا تَوُوبُ الطَّيْرِ وَالْأَمَلُ تَحْدُو
سِرْبَهَا فَتَجَدِّدُ الْأَوْكَارَا

نلاحظ أن الشاعر يعبر عن مشاعره إزاء الواقع المأساوي ، الذي آلت إليه مدينة تبسة، حين أغار عليها المعمرون في (4 مارس 1956م)، فأحرقوها ودمروها وقتلوا سكانها، وعذبوهم أشد تعذيب، فتركوهم في الشوارع صرعى مابين قتيل وجريح.

فالأفعال الكلامية المتضمنة للبوحيات هي : « صبرا تبسة إن شقيت، ولا تحزني»، وغرضها الإنجازي المواساة، وهي تعبر عن نفسية المتكلم إزاء هؤلاء الذين ذاقوا مرارة القمع والتعذيب، وفقدان الأهل والممتلكات، ولهذا أراد الشاعر مواساتهم، وحثهم على الصبر والثبات والصمود أمام هؤلاء الأوغاد، الذين لا يعرفون سوى سياسة الدمار والخراب، والإبادة والتعذيب.

غير أن الأمة العربية آنذاك لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذه الأوضاع المأساوية، التي مرت بها الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، بل قدمت المساعدات المادية والمعنوية لهذا الشعب الأبي ، الذي تجرع مرارة الاستعمار وويلاته ، بكل أشكالها وصورها البشعة، وفي هذا السياق يقول "محمد البشير الإبراهيمي": « فالعالم العربي بهذه العروبة المكيئة كالجسد الواحد إذا ألم بجزاء من أجزائه حادث، أو نزلت به مصيبة ، تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والغوث، أو بالتوجع والامتعض [...] إن هذا التضامن طبيعي؛ لأنه حنين العرق إلى العرق ، ومجاوبة الروح للروح، ونداء الدم للدم، وأنه فيض من شعاب الفطرة الإنسانية »⁽⁴⁶⁾.

ولهذا نجد الشاعر في كثير من المواقف يقدم الشكر لأشقائنا العرب ، الذين قدموا للشعب الجزائري، وللثورة الجزائرية من دمهم وجهدهم ومالهم بكل سخاء وزهد، إذ يقول في الخطاب الشعري « الجزائر الثائرة»⁽⁴⁷⁾:

كَمْ أُنْجَرْتُ مِنْ مِصْرٍ سُنُّهُ أَنْطَقْتُ
بِالْحَمْدِ فِي كُوخِ الْمَجَاعَةِ رُضْعًا
كَمْ شُخْنَةٌ أَرَسَتْ هُنَاكَ، فَأَدْفَأْتُ
شَلْوًا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ مُمَرَّعًا

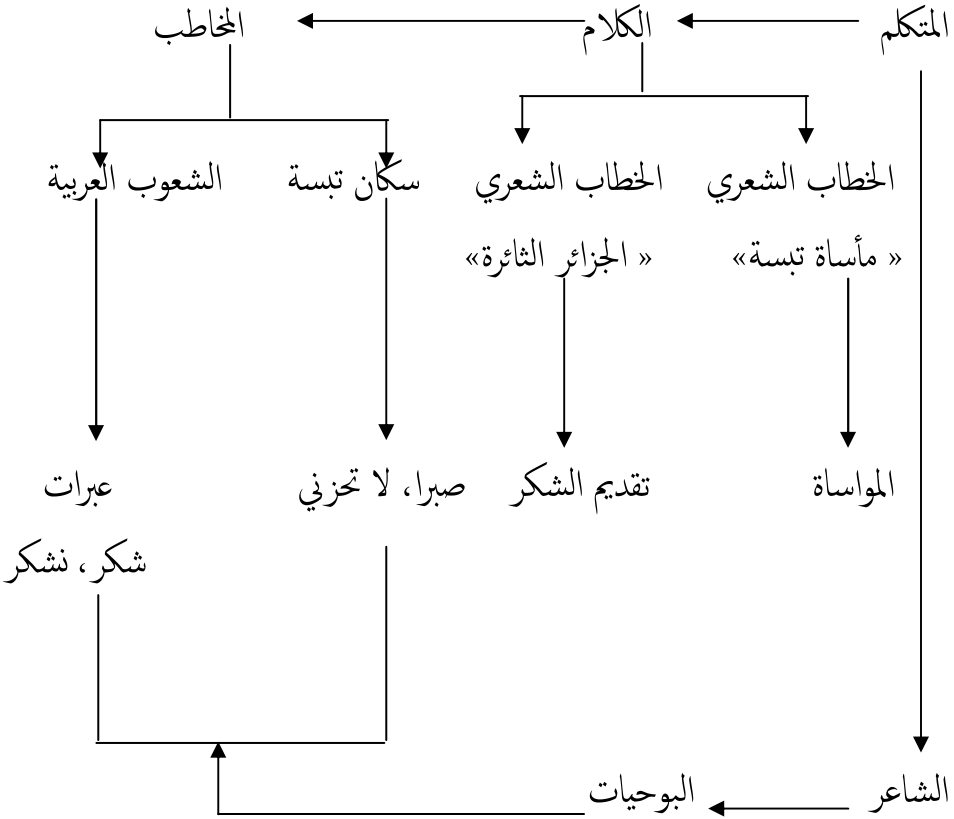
.....

لَأَزَالَ يَحْمُدُهُ وَيُهْدِي أَهْلَهُ
عَبْرَاتٍ شُكْرٍ لَا يُفَارِقُهَا الدُّعَا
عَرَجٌ، وَلَا تَنْسَى الْكُوَيْتَ، فَإِنَّهَا
كَمْ أَرْقَأْتُ بِيَدِ السَّمَاحَةِ مَدَمَعًا

.....

بِالتَّصْرِ نَشْكُرُ مِنْ غُدَاةِ الرَّوْعِ فِي
إِسْعَافِنَا، ضَرْبِ الْمِثَالِ الْأَرْوَعَا

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يقدم الشكر لأهل مصر، والكويت، ولكل الشعوب العربية التي وقفت مع الجزائر في محنتها؛ لأن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، ولهذا لا بد من التضامن معها، نظرا لما لحقها من اضطهاد، وما أصابها من ويلات، بسبب الاستعمار الذي اجتاحت أرضها، واستنزفت ثرواتها. ويمكننا تلخيص ما سبق ذكره في الشكل الآتي:



أفعال البوحيات الواردة في ديوان أطلس المعجزات.

5- الإعلانيات (Déclaratifs): وتسمى كذلك الإيقاعيات، وأداؤها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، واتجاه المطابقة فيها اتجاه مزدوج؛ أي من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص.⁽⁴⁸⁾

فإذا أديت - مثلا - فعل إعلان الحرب أداء ناجحا فالجاء معلنة، وإذا أدى الأستاذ فعل تعيين الطالب رئيسا للقسم أداء ناجحا فهو رئيس القسم وهكذا. وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى، أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي⁽⁴⁹⁾، إلا أن ديوان « أطلس المعجزات » لا يتضمن هذا الصنف من الإعلانات.

نصل ختاماً إلى جملة من النتائج أهمها تنوع أصناف الفعل الكلاسيكي؛ من تقريريات ووعديات وأمريات وبوحيات، ولكن الحضور المكثف كان للتقريريات، نظراً لكون أطلس المعجزات عبارة عن تقرير أحداث تاريخية، أراد الشاعر تبليغها للمتلقي بهدف التأثير والإقناع، وعدم حضور النوع الأخير من الأفعال (الإعلانات) وربما يرجع ذلك لما يتميز به هذا النوع من الأفعال، الذي يقتضي عرفاً غير لغوي، أما الوعديات فقد كثرت ورودها في الديوان، نظراً لالتزام الشاعر بالقيام بأفعال في المستقبل، أما الطلبيات فقد تنوعت بين الاستفهام والأمر، في حين أن التعبيريات قد تجلت في صنفين هما المواساة، وتقديم الشكر لكل الشعوب العربية التي وقفت مع الجزائر في محنتها.

الهوامش والمراجع

- (1) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 155.
- (2) عبد القادر عبد الجليل، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 193.
- (3) صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 137.
- (4) John Lyons an introduction combridje university press, linguistic Semantics, 2nd Published 1996, p238.
- (5) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلامية» في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 40.
- (6) آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوش، ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 31، 32.
- (7) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1991، ص 174.
- (8) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 69.
- (9) المرجع نفسه، ص 70.

- (10) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص 84-88.
- (11) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.
- (12) المرجع نفسه.
- (13) صالح خرفي، أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر- والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 5، 6.
- (14) صالح خرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر- والتوزيع، الجزائر، ص 347.
- (15) المصدر السابق، ص 39.
- (16) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 261.
- (17) المصدر السابق، ص 39، 40.
- (18) المصدر نفسه، ص 41.
- (19) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.
- (20) الديوان، ص 172.
- (21) مصطفى ييطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي " 1954-1962"، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص 451.
- (22) إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، النمط والاستعمال، دار المناهج، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 135.

- (23) سيويوه (أبو بشر عمرو بن قنبر)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ج3، ص 497.
- (24) المصدر نفسه، ج3، ص 104.
- (25) الديوان، ص 177، 178.
- (26) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية " 1925-1975"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 437، 438.
- (27) المصدر السابق، ص 177.
- (28) المرجع السابق، ص 437.
- (29) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49، 50.
- (30) حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص 111.
- (31) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الإتيان في علوم القرآن، حققه فواز أحمد زمركي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص 636.
- (32) حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص 117.
- (33) الديوان، ص 205.
- (34) صالح خرفي، الشعر الجزائري، ص 272.
- (35) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص 641.
- (36) الديوان، ص 205.
- (37) السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ص 334.

- (38) المصدر السابق، ص 206.
- (39) المصدر نفسه، ص 207.
- (40) المصدر السابق، ص 208، 209.
- (41) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م- 1962 م)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، ص 278، 279.
- (42) المصدر السابق، ص 209.
- (43) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.
- (44) المصدر السابق، ص 5، 6.
- (45) المصدر نفسه، ص 22.
- (46) نقلا عن: مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954-1962م)، دراسة موضوعية فنية، ص 250.
- (47) المصدر السابق، ص 124، 125.
- (48) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80.
- (49) المرجع نفسه.